

## إحسان عبّاس: عميد النُّقاد والمحقِّقين العرب

غَسَّان إِسْمَاعِيل عبد الخالق\*

### مدخل إلى عالم إحسان عبّاس

لم ينتم إحسان عبّاس لمدرسة نقدية محدّدة أو لتيّار نقدي بعينه، لكنّه ساق خلفه ومعه وأمامه كثيرًا من مدارس النّقد، دون أن يصرّح بذلك. والحقُّ أنّ أدقّ ما يمكن قوله على هذا الصّعيد هو أنّ إحسان عبّاس في النّقد قد كان إحسان عبّاس! أي أنّ كثيرًا ممّا رُفد به حقل الدِّراسات في الأدب والنّقد الأدبي العربي الحديث تَبَوّأ مكانة مرموقة بين النُّقاد والباحثين لأنّه صدر عن إحسان عبّاس في ذاته! ولا ريب في أنّ هذا الرُّكون الخطير ما كان ليستقيم على سوقه لولا المصادفة الكبيرة التي راكمها إحسان عبّاس في كل ما كتب وحقّق، وظلّت تتضايّف وتتضايّف حتّى كادت تبلغ درجة الوثوق التّام.

مع ذلك، لا بدّ من الاستدراك على ما تقدّم بالقول: إنّ إحسان عبّاس لم يسع ولم يطمح يومًا لتأسيس مدرسة مستقلة في النّقد، لأنّه كان يدرك في قرارة نفسه حقيقة أنّ ما أنجزه قد كان نتاج مهارات فردية خالصة وليس نتاج قناعات أو مهارات جمعيّة يمكن أن تستمدّ من هذا التيّار أو تعزى لتلك المدرسة. وسواء كان قد خطّط لحيازة هذه المهارات أو أنّه اكتسبها دون تخطيط جرّاء تقلّبات المكان والزّمان، فإنّها ستظلّ مهاراته وملكاته هو دون غيره من النُّقاد والباحثين، وعلى نحو يذكّر بتلك المهارات والملكات التي اجتمعت لعدد من الشّخصيات التي أغرم بها هو، مثل ابن حزم الذي اشتغل في حقول الأدب والفقه والفكر وتفردّ فيها دون غيره من مجاليه الذين شاطروه كثيرًا من الطُّروف والمرجعيات والاهتمامات لكنّهم لم يحدثوا ما

---

\* باحث ومحاضر في الجامعة الأردنية. عمان - الأردن.

أحدثه من بصمات راسخة. ومثل ابن خلدون الذي اشتغل أيضًا في حقول الأدب والفقه والفكر والتاريخ وأورثنا تركة زاخرة من العلامات الفارقة دون غيره من أعلام عصره الذين حالت مهاراتهم الفردية والجمعية دون اللحاق بركبه، ومثل التّوحيدي الذي اجتمع في شخصه الأديب والنّاقد والفيلسوف معًا، فكان منه ما كان دون غيره من كتّاب عصره.

وللحقّ، فإننا لم نسق هذه جزافًا، ولكننا أردنا التّمهيد بذلك للقول بأن إحسان عبّاس، ما كان ليبلغ ما بلغ من تفرد وتميّز، لو لم يدرك مبكرًا حقيقة أنّ الثّقافة الموسوعيّة - حسب التّعبير الشّائع- أو - الثّقافة العابرة للتّخصّصات- كما نفضّل أن نقول، هي الطّريق الطّويل الوحيد الذي يمكن أن يتكفّل للباحث بإحراز قصب السّبِق في كثير من مشاغل الأدب العربي، قديمًا وحديثًا. لأنّ هذا الأدب يمثّل، حقيقة وليس مجازًا، نتاج اشتباك طويل بين العديد من المعارف والعلوم، مثل الفقه والمنطق والتّاريخ والفلسفة وعلم الكلام والسّياسة، وبالتالي، فإنّ الخوض فيها دون الإلمام بالقدر اللازم منها، أشبه بالسّباحة وسط شلال هادر، وغالبًا ما يفضي إلى ما لا تحمد عقباه.

إنّ آية مقارنة بين ما كتبه إحسان عبّاس عن أرسطو أو عن التّوحيدي أو عن ابن حزم أو عن ابن خلدون -على سبيل المثال لا الحصر- وبين جليّ ما كتبه الآخرون، لن تقود إلّا إلى نتيجة واحدة مؤداها أنّ غنائم إحسان عبّاس قد كانت وافرة لأنّ عدّته قد كانت كذلك أيضًا، فهو يمتلك القدر المطلوب من الثّقافة الفقهية والمنطقية والتّاريخية والفلسفية والكلامية والسّياسية، ليتمكّن من تحليل وإعادة تركيب خطاب التّوحيدي وابن حزم وابن خلدون وقدامة بن جعفر وحازم القرطاجي وغيرهم، فيما أنّ جليّ مجاليه من الباحثين والدّارسين لامسوا هذا الخطاب ملاسما هيّنة خجولة فضحت قلة زادهم من هذه المعارف. على أنّ هذه المروحة

الواسعة من المعارف، تحتاج لمن يضمُّها ضمًّا شديدًا محكمًا، وبعبارة أخرى (أن يسيطر هو عليها لا أن تسيطر هي عليه)! وقد قرَّ علينا إحسان عباس جهد البحث عن السِّلْك النَّاطِم حينما وصف ابن رشيق قائلًا: (ابن رشيق ناقد بقوة شخصيته)! وقد عنى بذلك أنَّ ابن رشيق لم يأت بجديد في كتابه (العمدة في نقد الشعْر) لأنَّه استثمر -في الواقع- محفوظه الَّذِي استمدَّه من أمَّهات المصادر، فنسَّقه ونظَّمه بطريقته الشَّخصيَّة ولغته الخاصَّة حتَّى بدا كأنَّه من إبداعه، وحتَّى صار (العمدة) مرجعًا أساسيًا من مراجع النُّقد العربي القديم.

مع ضرورة التَّدكير بحقيقة أنَّ إحسان عباس قد كان مجلِّيًا في جلِّ ما كتب، فإنَّ (قوَّة شخصيَّته) كباحث وكناقد، تمثِّل المدخل الدَّهبي لمنجزه النَّقدي، إذ هو يسيطر سيطرة لافتة على موضوعه، سواء أكان هذا الموضوع شخصًا أم ظاهرة، فيبلغ مراده منه دون إطالة أو تسويق؛ كأن يترجم للشَّخص ترجمة مكثَّفة ويسوق أبرز كتبه ثمَّ يلخِّص أهمَّ مقولاته ثمَّ يحلِّلها ويعيد تركيبها وفقًا لقناعاته ومنظوره الخاصِّ. وكأنَّ يؤرِّخ للظَّاهرة تاريخًا مكثَّفًا ويسرد أبرز أعراضها ثمَّ يلخِّص أهمَّ استنتاجاته ويرتِّب أحكامه عليها برشاقة وحسم.

ولعلَّ أبرز حلفائه في إنجاز ما تقدَّم، لغته التَّقريرية الموجزة، الَّتِي تميل ميلاً بيِّنًا إلى الاقتصاد الشَّديد والحسم، دون مواربة وكناية، أو تكلُّف وتصنُّع، أو إسفاف وركاكة. إلى درجة أنَّا نحسُّ منه أحيانًا، ضيقًا في الصِّدر يذكِّر بضيق صدر عبد القاهر الجرجاني في (دلائل الإعجاز) و(أسرار البلاغة). وإن كان هذا الاقتصاد اللُّغوي الشَّديد قد عمل لصالحه في جلِّ ما كتب من نقود وأنجز من تحقيقات، فقد عمل ضدَّه في سيرته الرَّائعة (غربة الرَّاعي)، إذ خيَّم عليها التَّقرير والإيجاز فبدت سيرة وظيفيَّة أو كشف حساب قاسٍ مع الدَّات. وإن كان تقدُّمه في العمر يمكن أن ينهض

بوصفه عذراً وجميلاً له، فإنَّ ما ران من حدَّة في أحكامه على ذاته، يذكِّر بما ران من حدَّة على آراء ابن حزم بعد أن تقدَّم في العمر أيضاً.

لكن أطرف ما يمكن الإشارة إليه في سياق الكلام على منهجيَّة إحسان عبَّاس، هو اعتقاده بأنَّ تحقيق المخطوطات هو عمل آلي يكاد يخلو من الإبداع، إذا قورن بالكتابة النَّقدية المحضة، وقد تمكَّنت هذه القناعة منه إلى درجة أنَّه اعتقد بضرورة إلزام أقسام اللُّغة العربيَّة بالتَّوقف عن منح طُلَّابها درجة الماجستير والدُّكتوراه لقاء قيامهم بتحقيق المخطوطات!! ولا ريب في أنَّ هذه القناعة ستبدو صادمة جدًّا لكلِّ من كانت خبرته قليلة في التَّحقيق وتهيب ركوب أمواجه، لكنَّ الصُّحبة الطويلة التي ربطت إحسان عبَّاس بالنَّصِّ الثُّراثي حتَّى صار طوع يده جعلته يعتقد هذا الاعتقاد بلا شكِّ، وقد أدَّت به إلى رقد المكتبة العربيَّة المعاصرة بعدد وافر من أمَّهات المصادر التي قد يصعب الآن على معظم المؤسَّسات الثقافيَّة أن يصدر مثلها، إذا نظرنا بعين الاعتبار الشَّديد إلى المقديَّات الضَّافية التي قدَّم بها لتحقيقاته، وإلى الدِّقَّة المتناهية والضَّبَّط الشَّديد والتَّكثيف المطوَّل للأعلام والأماكن والمصطلحات.

### تاريخ النَّقد الأدبي عند العرب نموذجاً

يمثِّل هذا الكتاب واسطة عقد مؤلَّفات إحسان عبَّاس في النَّقد القديم، وقد أودعه خلاصة استقرائه للموروث الشِّعري العربي من القرن الثَّاني حتَّى القرن الثَّامن الهجري، وأمضى في تأليفه خمسة عشر عاماً (1956-1971)، ويمكننا إجمال أبرز سماته الأسلوبية والنَّقدية والفكرية فيما يلي:

1- المراهنة على قوَّة شخصيَّة النَّاقِد: فقد كان سبَّاقاً إلى التَّنويه بدور قوَّة شخصيَّة النَّاقِد في إيصال ما يريد لقارئه، حتَّى لو لم يكن مجدِّداً فيما يقول، وقد رصد على هذا الصَّعيد بروز شخصيَّة أبي العلاء المعري في تأويل خطاب المتنبِّي الشِّعري وفقاً لمعتقده وفهمه في الحياة، كما سجَّل لابن رشيق في كتابه العمدة

حضوره المؤثر الذي أوهم كثيرًا من الباحثين بأنه مجدّد ومبدع مع أنه جامع وصاهر للأراء. وأمّا أبو هلال العسكري فلم يتردّد في وصفه بضعف الشّخصيّة رغم ما بذله من جهد على صعيد تنظيم وتنسيق كتابه (الصناعاتين).

2- عدم المراهنة على الثنائيات التّقليديّة مثل القديم والمحدث والطّبع والصنعة والمبتكر والمسروق؛ لأنّ إحسان عباس رأى في هذه الثنائيات صيغة مبتدلة وميكانيكيّة لتفسير وتحليل الخطاب النّقدي القديم. وبدلًا من التّورط في قضيّة السرقات مثلًا التي استهلكت جهود النقاد لقرون متتالية حتّى عدّ إحسان عباس ذلك مظهرًا من مظاهر أزمة النّقد العربي القديم، فقد اتّجه لتشخيص الأزمة نفسها ممثّلة بقصور أدوات النّاقّد العربي التّقليدي عن مواكبة الإزاحات المتواليّة التي راح يحدثها شعراء كبار مثل أبي تمام والمتنبيّ والمعري، وهنا لا بدّ من التّنبؤ بحقيقة أنّ إحسان عباس قد كان مقتنعًا تمام الاقتناع بالدّور الاستثنائي الذي يمكن للشّاعر المبدع أن يضطلع به على صعيد استفزاز وتحريض الخطاب النّقدي.

3- التّفريق بين الاقتناع بالمنهج وبين الإقرار بانسجامه؛ فرغم أنّ إحسان عباس يقف على النقيض تمامًا ممّا انتهى إليه قدامة بن جعفر في (نقد الشّعر) من حيث إنّ الشّعر علم قائم بذاته، ويمكن إخضاعه لمقولات المنطق اليوناني الصّارمة، إلّا أنّه لم يدّخر وسعًا للإقرار والإعجاب بالتماسك البارز في الأطروحة النّقديّة التي رقد بها قدامة بن جعفر حقل الشّعر العربي من منظور فلسفي. وممّا يدعو للإعجاب بإحسان عباس على هذا الصّعيد، معرفتنا بحقيقة أنّ ميوله الفلسفيّة والمنطقيّة لم تؤدّ به إلى التّسليم بصحّة أحكام قدامة بين جعفر رغم إقراره له بالتماسك المنهجي. فإحسان عباس أكثر من يعرف بأنّ الشّعر عالم

من الأخيـلة والرؤى الـتي يمكن تأويلها أو مقاربتها نسبياً، لكنّها تتأبى دائماً على التّـنميط والتّـقنين.

4- التّمرد على سلطة الرّواة والأدباء، فرغم تقديره الكبير للمكانة العلميّة المرموقة الـتي تستنمها رواة وأدباء مثل الأصمعي والمبرد، إلّا أنّه لم يمار في أنّهم ليسوا نقاداً محترفين، بل قطع بأنّهم أدباء أو متأدّبون يمكن النّظر إلى محفوظهم الشّاسع بوصفه مرآة لثقافة أزمانهم. فالأصمعي وإن كان قد فتح باباً كبيراً في النّقد، حين أكّد أن لا ديانة في الشّعر، يصعب التّعامل معه بوصفه ناقداً متمرساً ذا منهج واضح المعالم. والمبرد الّذي فتح باباً كبيراً في البلاغة حين جاء على ذكر المجاز، وأكّد ثبات المعنى رغم تنوّع أضرب الخبر، يظلّ لغويّاً محافظاً، وهو أبعد ما يكون عن النّاقـد المقصود.

5- المراهنة على القول باتّجاهات النّقد العربي وليس القول بالنّظرية العربيّة في النّقد؛ وهذه خلاصة متوقّعة تماماً، إذا نظرنا بعين الاعتبار الشّديد لحقيقة أنّ إحسان عبّاس ملّمٌ بالثقافة اليونانيّة أدبياً وفلسفياً، وأنّه ملّمٌ أيضاً بالثقافة العربيّة أدبياً وفلسفياً. ومثله لن ينزلق إلى ما انزلق إليه غيره من الباحثين، حينما وضعوا كل المنتج النّقدي العربي القديم في سلّة واحدة وأطلقوا عليها النّظرية العربيّة في النّقد أو النّظرية النّقديّة العربيّة! وإذا كان اليونانيّون قد تمكّنوا من خلال أفلاطون وأرسطو من صياغة نظريّة كليّة في الأدب بحسناتها وسليّاتها، فإنّ العرب كانوا أبعد ما يكونون عن هذه الصّياغة، لأنّ جهودهم النّقديّة جاءت فرديّة متباعدة من جهة، واحتكمت إلى العديد من المحرّكات والموجّهات الفكرية من جهة ثانية، فمنها ما كان انطباعياً خالصاً، ومنها ما كانت اللّغة هاجسه الأوّل، ومنها ما كان مدفوعاً بالأمر الأخلاقي الدّيني، فبدت لذلك

مزيجًا من الآراء واللَّفَتات والاستدراكات والخواطر الَّتِي لا يجمعها جامع نظري مركزي، ولا يوجِّهها محرِّك فكري رئيسي.

6- المراهنة على تاريخ الأفكار بدلًا من التَّأريخ والتَّحقيق؛ فولعه بالتَّأريخ لم يؤدِّ به إلى ممارسة الفهم الكيِّ له، بل أدَّى به إلى ممارسة الفهم الكيفي له. فهو يتحرَّك دائمًا بِاتِّجاه اختيار المحطَّات البارزة فيه شخصًا وظواهر، ولا يسمح لنفسه بالتَّورُّط في السَّرد الرَّمني الميكانيكي، كما لا يسمح لنفسه بالاستغراق في تفاصيل السَّيرة الدَّائِيَّة لمن وقع عليهم الاختيار من النُّقاد. لقد أدرك بحكم استيعابه العميق لجوهر المقدِّمة الخلدونيَّة، أنَّ أهميَّة التَّأريخ تكمن في رصد تحوُّلاته الكبرى وليس في الانصياع الآلي لتعاقبه ليل نهار. ولهذا نراه يقفز من سيرة النَّاقِد إلى أفكاره ويستخلص من ذلك ما يريد، ويقفز من ناقد في المشرق إلى ناقد آخر في المشرق من باب الحرص على متابعة سلسلة الأفكار، حتَّى إذا اطمأنَّ إلى أنَّ المشرق لم يعد لديه ما يقدِّمه من أفكار، طار إلى المغرب والأندلس.

7- المراهنة على الفكر النَّقدي بدلًا من النَّقد الأدبي المحض؛ فولعه بالفلسفة والمنطق والفكر بعامة، أدَّى به إلى إدراك حقيقة أنَّ النَّقد الأدبي الخالص بعيدًا عن استجلاء ملامح (نظريَّات الأدب) الَّتِي تقدِّم بها الفارابي وابن سينا وابن خلدون، لن يقودنا إلَّا إلى الدَّوران في حلقة مفرغة من الآراء والتَّطبيقات الجماليَّة الشُّكلانيَّة، وإلى الحدِّ الَّذِي سيفقدنا التَّمثُّع بأبرز مزايا النَّقد العربي القديم، ممثَّلة في تلك الأطر المرجعيَّة الَّتِي انطلق منها هذا النَّقد، ونعني بها الفقه وعلم الكلام والفلسفة.

### تاريخ بلاد الشَّام في العصر العبَّاسي نموذجًا آخر

لم يستأثر هذا الكتاب - وكذلك سابقه (تاريخ بلاد الشَّام من ما قبل الإسلام حتَّى بداية العصر الأموي) ولاحقه أيضًا (تاريخ بلاد الشَّام في عصر المماليك) - بما

يستحقّه من عناية الباحثين والدّارسين، وخاصّة إذا نظرنا بعين الاعتبار الشّديد لحقيقة أنّ إحسان عبّاس قد أودع هذه السّلسلة من الكتب أفضل مهاراته وملكاته على صعيد كتابة التّاريخ وتفسيره ونقده.

رصد إحسان عبّاس في هذا الكتاب، حقبة تمتدّ من العام 132هـ حتّى العام 255هـ، وأبرز أخطر ما اشتملت عليه من أحداث وظواهر وسمات، لعلّ أهمّها أقول نجم الأمويّين وقدم العبّاسيّين بأعلامهم السّوداء وسيوفهم المشتاقة لرؤوس أهل الشّام. ويمكننا أن نجمل أبرز ملامحه فيما يلي:

1- عني الفصل الأوّل من الكتاب بتحقيق مشهد خضوع الشّام والجزيرة للعبّاسيين، وما لحق بهذا المشهد من تلوين تاريخي كثير أو قليل.

2- انشغل الفصل الثّاني بتتبّع مسلسل الفتن الدّاخلية كثورات الخوارج وفتن القبائل وتململ الفلّاحين وانتفاضات المدن من ناحية، ورصد سجال العرب والرّوم من ناحية أخرى.

3- انشغل الفصل الثّالث بترسيم ملامح العمران في هذه الحقبة واستعراض ما آلت إليه الأمور بعد طرد الأمويّين.

4- يقدّم الفصل الرّابع خارطة للبنية الثّقافيّة التي أنتجت أثناء هذه الحقبة، دون التّعاضّي عن جملة المؤثّرات الخارجيّة التي فعلت في هذا المنتج، وقد عزّز إحسان عبّاس هذا المنتج بحملة من الملاحق أهمّها: رسائل الإمام الأوزاعي ومواعظه والمنسوب إليهم القول بالقدر من الشّاميين، وأهمّ مؤلّفات الشّاميين ومدرسة القراءات وعلم الحديث عند الشّاميين.

وإذا كان التّاريخ الثّقافي لبلاد الشّام خلال هذه الحقبة يمثّل أبرز ما أودعه إحسان عبّاس في هذا الكتاب، فإنّ الإمام الأوزاعي يمثّل أهمّ علامات هذا التّاريخ دون منازع، إذ إنّ أثره لم يقتصر على صياغة مصير هذه المنطقة فحسب، بل امتدّ



ليؤثّر في صياغة منطقة ثانية على الجهة الغربيّة من البحر المتوسّط، جهد طوال قرون في أن تكون وجهًا مطابقًا للمنطقة الأولى وأعني بها الأندلس.

إنَّ الإمام الأوزاعي عبد الرَّحْمَن بن عمر (88 - 157هـ) هو الممثِّل الأكبر للمدرسة الشَّاميّة في الحديث والسِّيَر والتَّاريخ والفقهِ. وبالقدر الَّذي فعلت بيئة الشَّام فيه، فقد فعل هو فيها. ولا شكَّ في أن طيب المناخ والميل إلى الزِّراعة وتمازج الأجناس والأديان قد عبّرت عن نفسها مجتمعة من خلال مذهبه المعتدل؛ فهو من حيث المبدأ يلتزم النَّصَّ من قرآن وحديث، ولا يرى بأسًا في التَّوسُّع قليلًا أخذًا ببعض ما قام به الصَّحابة مثل عمر بن الخطَّاب. وله حظٌّ من الرّأي في مسائل أملتْها طبيعة الحياة الشَّامية مثل حكمه بأنَّ ما أخطأته يد الحاصد أو جنته يد القاطف فليس لصاحب الزَّرع عليه سبيل، إنَّما هو للمازة وابن السَّبيل، مسaire منه لعرف شامي شائع. وهو يضيق بالبدعة وينهى عن الجدل نهيا قاطعًا، لكن بأسلوب هو إلى النَّصيحة أقرب منه إلى الرِّجس.

ولعلَّ هذه المرونة في التَّعاطي مع شؤون الدِّين والدُّنيا، هي ما مكَّنه من الاحتفاظ بنفوذه الكبير في ظلِّ الدَّولة العبَّاسيَّة، على الرِّغم من ولائه الأقوى السَّابق، بل إنَّ هذه المرونة جعلته قادرًا على الاضطلاع بمهمَّة النَّاصح الأمين والواعظ الحازم لخليفة جبار مثل أبي جعفر المنصور، ممَّا سهَّل عليه التَّدخُّل من حين لآخر، رفعًا لضيم أو إصلاحًا لخطأ.

ويبدو أنَّ ترفُّق الأوزاعي، في الإنحاء على من قال بالقدر من الشَّاميين، وغيرهم من الفرق مثل المرجئة، قد أتى أكله لاحقًا في صورة تضاول دعوتهم قياسًا إلى اشتداد القدرية وغيرهم من الفرق في العراق، الَّتِي شهدت صراعًا داميًا بين السُّنَّة ممثَّلة بابن حنبل والمتكلمين ممثَّلين بالمعتزلة، حيث أسهم تصلُّب الحنابلة في تفجير مواجهة شرسة طالت الشَّام وعلماءها بإيعاز من المأمون.

لقد أرسى الأوزاعي وتلاميذه، مجموعة من التّقاليد والأعراف التي غدت بمرور الوقت ميسماً مميّزاً لمدرسة الشّام في العلم، أهمّها: الاعتماد على السّماع المباشر، وعدم التّشدّد في الإسناد إبان المرحلة الأولى، والانقطاع إلى العلم حدّ الإملاق، والاعتماد في السّيَر والمغازي على أسلوب السُّؤال والجواب، وعدم الاعتناء بالسرد التّاريخي المنظّم للمعلومات التّاريخية كما نلاحظ لدى الواقدي.

ومع أنّ الشّام حلّت محلّ الجزيرة العربيّة وجنوب العراق على صعيد إطلاع جيل من الشّعراء، إلّا أنّها لم توصل لعاصمة الخلافة العبّاسيّة من هؤلاء الشّعراء سوى القليل، وذلك لأنّ معظمهم ظلّ يحوم في بلاد الشّام، وأمّا من قصد بغداد فقد رفع لعاصمة الخلافة العبّاسيّة ألوية خفّافة إلى يومنا هذا، أعني بذلك الطّائفتين أبا تمّام والبحثري. وإذا ما نحن صوّبنا النّظر إلى النثر الشّامي أثناء هذه الحقبة، لم نجد في هذا النثر ما يستحقّ الإشارة، سوى رسائل الأوزاعي التي أثبتت إحسان عبّاس طائفة منها.

لقد أبرز إحسان عبّاس في هذا الكتاب، الحدث الجوهري في تاريخ الحقبة المدرّسة ونظمه في سلك زمني متّصل، كما ربطه بالمحيط الموضوعي، وفق قانون الطّرد المركزي للهامشي والخيالي والمشكوك فيه، ثمّ دفع بالمسكوت عنه إلى سطح الحدث التّاريخي، اعتماداً على القراءة المقارنة لنصوص التّاريخ الإسلامي والنصوص الأخرى، أو باستقراء المسكوكات والآثار المكتشفة.

واستعاض أيضاً، عن اللّهاث خلف حركة الرّعيم الفرد بتتبّع حركة الإيقاع الجمعي للمشهد التّاريخي، اعتماداً على رصد حراك العامّة وردود أفعالهم. على أنّ أخطر ما يمكن التّوقّف إزاءه فيما كتبه إحسان عبّاس عن المزاج النّفسي والفكري لبلاد الشّام في هذه الحقبة، هو التّقبّل الجماعي لفكرة المنقذ أو المخلّص المنتظر،

الَّذِي ارتبط لا شعوريًّا ببني أميّة، وقد ظلّت هذه الفكرة تعيد إنتاج ذاتها من خلال أكثر من نائِر ومتمرّد، اعتمادًا على هذا الميل العام.

### موجز سيرة إحسان عبّاس

يمكن تلخيص أبرز المحطّات العلميّة والعمليّة في حياة إحسان عبّاس على النّحو التّالي:

- في عام 1920 ولد إحسان عبّاس في قرية "عين غزال" الفلسطينيّة الّتي تبعد خمسة وعشرين كيلو مترًا عن حيفا.
- درس في قريته حتّى الصّفّ الثّالث الابتدائي، ثمّ أتّمّ دراسته الإعداديّة والثّانويّة في مدارس حيفا وعكّا.
- التحق بكلّيّة القدس وأمضى فيها أربعة أعوام (1937 - 1941) ونال منها شهادة أهلته للتّعليم، فعُيّن مدرّسًا في صفد لمُدّة خمس سنوات.
- تابع دراسته بعد ذلك في مصر وأمضى فيها ثلاثة أعوام (1946 - 1949) حصل خلالها على شهادة اللّيسانس من جامعة القاهرة، وكان من بين أساتذته آنذاك: طه حسين وعبد الوهّاب عزّام وأحمد أمين وشوقي ضيف.
- حالت ظروف النّكبة الفلسطينيّة عام 1948، دون عودته إلى وطنه، فظلّ في القاهرة وعمل في مدرسة "العائلة المقدّسة".
- ارتحل في أوائل عام 1951 إلى السّودان، حيث عمل في كليّة "غوردون" الّتي أصبحت جامعة الخرطوم، لمُدّة عشر سنوات.
- نال شهادة الماجستير من جامعة القاهرة عام 1951، خلال عمله في السّودان، عن أطروحته "حياة الأدب العربي في صقلية".

- نال شهادة الدكتوراه من جامعة القاهرة عام 1954، عن أطروحته "الرُّهد في الأدب الأموي". ولم يكن راضيًا عنها!
- عُيِّن أستاذًا للأدب العربي في الجامعة الأمريكية ببيروت، في عام 1961، وظلَّ فيها إلى أن أُحيل على التَّقاعد في عام 1982.
- عمل في الجامعة الأردنيَّة ومُؤسسة آل البيت أستاذًا زائرًا وباحثًا متفرِّغًا حتَّى وافاه الأجل يوم الخميس الموافق 2003/7/31، مع أنَّ تاريخ وفاته المشهور بين الباحثين هو يوم الجمعة الموافق 2013/8/1.
- درَّس في جامعات أوروبيَّة وأمريكيَّة، وحصل على العديد من الجوائز العلميَّة المرموقة، والأوسمة الرِّفيعة. كما تمَّتَّع بعضويَّة العديد من المجمع العلميَّة واللُّغويَّة المعدودة.

#### خزانة إحسان عبَّاس

يمثِّل النَّاقِد والمحقِّق والمؤرِّخ والمترجم والشَّاعر إحسان عبَّاس، علامة فارقة في تاريخ الثَّقافة العربيَّة بوجه عام، وفي تاريخ الأدب العربي الحديث بوجه خاصّ. وفي تاريخ الأدب العربي الفلسطيني بوجه خاصّ؛ فقد كان الحارث الأبرز لكل حقول الأدب، كما كان الأكثر جدارة بوصف (الباحث العابر للتَّخصُّصات). ونظرًا لغزارة إنتاجه العلمي، فسوف نعمد إلى إيراد ثبت خاصٍّ بمؤلَّفاته وتحقيقاته وترجماته، وذلك من باب الحرص على توثيق موروثه الشَّاسع الَّذي نخشى أن يتساقط بعضه من يد الرِّمن، وخاصَّة إذا نظرنا بعين الاعتبار الشَّديد إلى حقيقة أنَّ كلَّ من كتبوا عنه ألحوا إلى بعض إنتاجه ولم يوردوا ثبتًا وافيًا بهذا الإنتاج، كما خلت النَّدوات والدراسات الَّتِي تناولت مسيرته العلميَّة الباهرة من أهمِّ ما يجب أن تشتمل عليه، وهو توثيق وضبط كلِّ ما ألَّف وحقَّق وترجم، فضلًا عن أبرز ما ألَّف عنه وأهدى له من كتب.

❖ مؤلَّفاته النَّقدِيَّة:

- 1- فنُّ الشِّعر، داربيروت، 1953.
- 2- عبد الوهَّاب البياتي والشِّعر العراقي الحديث. د.م: داربيروت، 1955.
- 3- فنُّ السِّيرة، داربيروت، 1956.
- 4- الشِّعر العربي في المهجر الأمريكي (بالاشتراك مع الدُّكتور محمَّد يوسف نجم). بيروت: دارصادر، 1957.
- 5- بدر شاكر السَّياب، دراسة في حياته وشعره. بيروت: دارالثَّقافة، 1969.
- 6- ملامح يونانيَّة في الأدب العربي. بيروت: المؤسَّسة العربيَّة للدراسات والنَّشر، 1977.
- 7- اتِّجاهات الشِّعر العربي المعاصر. سلسلة عالم المعرفة. رقم 2. الكويت: دن، 1978.
- 8- من الَّذي سرق النَّار (مقالات له في الشِّعر والنَّثر). (جمعتها وحرَّرتها وقَدِّمت لها: د. وداد القاضي). بيروت: المؤسَّسة العربيَّة للدراسات والنَّشر، 1980.

❖ مؤلَّفاته الإبداعيَّة:

- 9- غربة الرَّاعي. سيرة ذاتيَّة. عمان: دار الشُّروق، 1996.
- 10- أزهار بريَّة. ديوان شعري. عمان: دار الشُّروق، 1999.

❖ مؤلَّفاته التَّاريخيَّة:

- 11- الحسن البصري. القاهرة: دار الفكر العربي، 1952.
- 12- أبو حيَّان النَّوحيدي. د.م: داربيروت، 1956.
- 13- الشَّريف الرِّضي. بيروت: دارصادر، 1959.
- 14- العرب في صقلية. القاهرة: دار المعارف، 1959.

- 15- تاريخ الأدب الأندلسي، عصر سيادة قرطبة. بيروت: دار الثقافة، 1960.
- 16- تاريخ الأدب الأندلسي، عصر الطوائف والمرابطين. بيروت: دار الثقافة، 1962.
- 17- تاريخ ليبيا. بنغازي: دار ليبيا للنشر، 1967.
- 18- تاريخ النقد الأدبي عند العرب. بيروت: دار الأمانة/ مؤسّسة الرّسالة، 1971.
- 19- دراسات في الأدب الأندلسي. بالاشتراك مع وداد القاضي وأبير مطلق. ليبيا- تونس: الدّار العربيّة للكتاب ، 1976.
- 20- من التّراث العربي، 1988.
- 21- تاريخ بلاد الشّام، من ما قبل الإسلام حتّى بداية العصر الأموي (600-661). عمان: الجامعة الأردنيّة، 1990.
- 22- تاريخ بلاد الشّام، في العصر العبّاسي (132-255هـ). عمان: الجامعة الأردنيّة، 1992.
- 23- تاريخ بلاد الشّام في عصر المماليك (648-923هـ). عمان: الجامعة الأردنيّة وجامعة اليرموك، 1998.
- ❖ تحقيقاته:
- 24- خريدة القصر للعماد الأصفهاني. القسم الخاصّ بمصر. بالاشتراك مع أحمد أمين وشوقي ضيف. لجنة التّأليف والتّرجمة والنّشر. مجلّدان، 1951-1952.
- 25- رسالة في التّعزية لأبي العلاء المعري. القاهرة: دار الفكر، 1950.
- 26- رسائل ابن حزم الأندلسي، 4 مجلّدات. القاهرة: مكتبة الخانجي، 1955.
- 27- فصل المقال في شرح كتاب الأمثال للبكري، بالاشتراك مع الدّكتور عبد المجيد عابدين. الخرطوم: دن، 1958.
- 28- جوامع السّيّرة لابن حزم، بالاشتراك مع الدّكتور ناصر الدّين الأسد، مصر: دار المعارف، 1958.

- 29- التَّقريب لحدِّ المنطق والمدخل إليه لابن حزم. بيروت: دار الحياة، 1959.
- 30- ديوان ابن حمديس الصِّقْلِيّ. بيروت: دار صادر، 1960.
- 31- الرَّد على ابن النُّغريلَة اليهودي ورسائل أخرى لابن حزم. د.م: دن، 1960.
- 32- ديوان الرِّصافي البُلنسي. بيروت: دار الثَّقافة، 1960.
- 33- ديوان القتَّال الكلابي. بيروت: دار الثَّقافة، 1961.
- 34- ديوان لبيد بن ربيعة العامري، الكويت: دن، 1962.
- 35- أخبار وتراجم أندلسيَّة مستخرجة من معجم السِّفر للسِّلفي. بيروت: دار الثَّقافة، 1963.
- 36- ديوان الأعمى التَّطيلي. بيروت: دار الثَّقافة، 1963.
- 37- شعر الخواج. بيروت: دار الثَّقافة، 1963.
- 38- الكتيبة الكامنة في أعيان المئة الثَّامنة لابن الخطيب. بيروت: دار الثَّقافة، 1963.
- 39- الدَّيْل والتَّكْملة على كتابي الموصول والصلَّة لابن عبد الملك المرَّاكشي، ج5. بيروت: دار الثَّقافة، 1965.
- 40- التَّشبيهاًت من أشعار أهل الأندلس، ابن الكتَّاني. د.م: دن، 1966.
- 41- عهد أردشير، أردشير بن بابك. د.م: دن، 1967.
- 42- الدَّيْل والتَّكْملة على كتابي الموصول والصلَّة لابن عبد الملك المرَّاكشي، ج6. بيروت: دار الثَّقافة، 1973.
- 43- نفع الطَّيب من غصن الأندلس الرِّطيب للمقري. 8 مجلِّدات. بيروت: دار صادر، 1968.
- 44- ليبيا في كتب التَّاريخ. بالاشتراك مع محمَّد يوسف نجم. بنغازي: دار ليبيا، 1968.

- 45- ليبيا في كتب الجغرافية والرحلات. بالاشتراك مع محمد يوسف نجم. بنغازي: دار ليبيا، 1968.
- 46- طبقات الفقهاء لأبي إسحاق الشيرازي. بيروت: دار الرائد العربي، 1970.
- 47- ديوان الصنوبري. بيروت: دار الثقافة، 1970.
- 48- الوافي بالوفيات، الصلاح الصفدي. ج7، فيسبادن: المعهد الألماني للأبحاث الشرقية، 1970.
- 49- ديوان كثر عزة. بيروت: دار الثقافة، 1971.
- 50- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان. 8 مجلدات. بيروت: دار الثقافة، 1968-1972.
- 51- الرّوض المعطار في خبر الأقطار لابن عبد المنعم الحميري. بيروت: دار الأمانة/ مؤسّسة الرّسالة، 1975.
- 52- فوات الوفيات لابن شاعر الكتي. 5 مجلدات. بيروت: دار الثقافة ودار صادر، 1973-1977.
- 53- الذّخيرة في محاسن أهل الجزيرة، للشّنتري. 8 مجلدات. بيروت: دار الثقافة، 1974-1979.
- 54- أنساب الأشراف لبللاذري (القسم الرّابع، الجزء الأوّل). بيروت: المعهد الألماني للأبحاث الشرقية، 1979.
- 55- أمثال العرب، المفضّل الضّبيّ. د.م: دن، 1980.
- 56- سرور النّفس بمدارك الخمس للّيفاشي. بيروت: المؤسّسة العربيّة للدراسات والنّشر، 1980.
- 57- رسائل أبي العلاء المعريّ. بيروت/القاهرة: دار الشّروق، 1982.
- 58- التّدكرة الحمدونيّة لابن حمدون. بيروت: معهد الإنماء العربي، 1983.



- 59- كتاب الخَراج لأبي يوسف. بيروت: دار الشُّروق، 1985.
- 60- مرآة الزّمان لسبط بن الجوزي. بيروت: دار الشُّروق، 1985.
- 61- المجلس الصّالح الكافي للمعافي بن زكريّا التّهرواني. 3 مجلّدات، د.م: دن، 1987.
- 62- معجم الأدباء لياقوت الحموي. 7 مجلّدات. د.م: دن، 1993.
- 63- كتاب الأغاني للأصفهاني. 25 مجلّدًا. بالاشتراك مع بكر عبّاس وإبراهيم السّعافين. بيروت: دار صادر، 2002.
- 64- عبد الحميد بن يحيى الكاتب وما تبقيّ من رسائله ورسائل سالم أبي العلاء. د.م: دن، د.ت.

❖ ترجماته:

- 65- كتاب فنّ الشّعْر لأرسطو. القاهرة: دار الفكر، 1950.
- 66- دراسات في الأدب العربي لفون جرونباوم، بالاشتراك مع كمال اليازجي وأنس فريجة ومحمّد يوسف نجم. بيروت: دن، 1959.
- 67- أرنست همنجواي لكارلوس بيكر. بيروت: دن، 1959.
- 68- النّقد الأدبي ومدارسه الحديثة لستانلي هايمان. مجلّدان. بالاشتراك مع الدكتور محمّد يوسف نجم. بيروت: د.م، 1958-1960.
- 69- فلسفة الحضارة أو مقال الإنسان، لأرنست كاسيرر. بيروت: دن، 1961.
- 70- يقظة العرب لجورج أنطونيوس. بالاشتراك مع الدُّكتور ناصر الدّين الأسد. بيروت: دن، 1962.
- 71- دراسات في حضارة الإسلام للسير هاملتون جب. بالاشتراك مع الدُّكتور محمّد يوسف نجم والدُّكتور محمود زايد. بيروت: دن، 1964.
- 72- موبي ديك لهрман ملفل. بيروت: دن، 1965.

73- ت. س. البيوت لمائين. بيروت: دن، 1965.

❖ الكتب التي حرَّرها:

74- كمال ناصر، الأعمال الشعريَّة. بيروت: المؤسسة العربيَّة للدراسات والنَّشر،  
1974.

75- ديوان إبراهيم طوقان. بيروت: دار القدس، 1975.

❖ ملفَّات وكتب ودراسات أهديت له:

76- دراسات عربيَّة وإسلاميَّة مهداة إلى إحسان عبَّاس. بيروت: الجامعة الأمريكيَّة،  
1981.

77- صبيحي، مكي الدين. إحسان عبَّاس والتَّقد. دمشق: اتِّحاد الكُتَّاب العرب، 1983.

78- ملفٌّ خاصٌّ عن إحسان عبَّاس، مجلَّة أفكار. عمان: وزارة الثَّقافة، 1993.

79- السَّعافين، إبراهيم. (محرر). في محراب المعرفة: دراسات مهداة إلى إحسان  
عبَّاس. بيروت: دارصادرودار الغرب الإسلامي، 1997.

80- عبد الخالق، غسان إسماعيل. (محرر). إحسان عبَّاس: ناقدًا ومحقِّقًا ومؤرِّخًا،

أبحاث الندوة التي أقامتها مؤسَّسة عبد الحميد شومان تكريمًا له. عمان، 1998.

81- عبد الخالق، غسان إسماعيل. حنين مؤجَّل: دراسة ومقالات وحوارات مع  
إحسان عبَّاس. عمان: دار أزمنا، 2009.

82- السَّعافين، إبراهيم. إحسان عبَّاس: ناقد بلا ضفاف. عمان: دار الشُّروق،  
2002.